

## أبو حيان الأندلسي والطعن في القراءات القرآنية

د. علي الهروط

قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة مؤتة

### ملخص

هذا البحث يقدم بإيجاز شديد موقف النحاة من القراءات القرآنية بعامة سلباً وإيجاباً. ويعرض كذلك وبالتفصيل لعدد من القراءات التي طعن النحاة بصحتها، مبيناً رأي أبي حيان الأندلسي فيها وموقفه من الطاعين فيها والاسس التي اعتمدها للدفاع عن القراءات.

### Abstract

This paper presents very briefly negative as well as positive the view points of Arabic grammarians to concerning the Koranic readings in general.

It also discusses in detail a number of readings about the Validity of which grammarians were in doubt.

The paper presents the views held by Abu Hayyan, the position he has taken with respect to those who were in doubt, and the principles he adopted to defend there readings.

يقول السيوطي : « كان قوم من النحاة المتقدمين يعيرون علي عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية وينسبونهم إلى اللحن وهم مخطئون في ذلك . فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها . وثبت ذلك دليل علي جوازه في العربية وقد رد المتأخرون ومنهم ابن مالك علي من عاب عليهم ذلك بأبلغ رد ، واختار جواز ما وردت به قراءاتهم في العربية<sup>(١)</sup> .

وهذا الذي ذهب إليه السيوطي يثبت ما سجلته المراجع النحوية واللغوية وكتب القراءات للنحويين من مطاعن عديدة في قراءات متعددة<sup>(٢)</sup> ، كما سنبينه بعد قليل .

(١) الاقتراح ص ٤٩ .

(٢) أنظر مزيداً من التفصيل حول هذا في الخزانة ج ٢ ص ٢٥٦ . التصريح ج ٢ ص ٩٠ البحر المحيط ج ٥ ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

وعلى النقيض من هذا نرى كثيراً من النحاة يقف من هذه القراءات موقفاً معتدلاً، فسيبويه يرى أن القراءة سُنَّةٌ ويجب اتباعها<sup>(٣)</sup>. وابن يعيش يعتمدها كمصدر لتقوية وتدعيم رأي دون الآخر فيقول: ويقوى الوجه الأول قراءة الجماعة<sup>(٤)</sup>. والأشموني يستدل بالقراءات على ما يقوله من رأي ويدعمه<sup>(٥)</sup>.

ويقول ابن خالويه: «أجمع الناس على أن اللغة إذا وردت في قراءة القرآن فهي أوضح مما في غير القرآن»<sup>(٦)</sup>. والسيوطي في الاتقان يقول: كل ما ورد أن القرآن قرئ به جاز الاحتجاج به، سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً<sup>(٧)</sup>.

والرازي يقول في تفسيره إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن أولى من هذا كله<sup>(٨)</sup>.

من هذه العجالة يتبين لي أن هناك احتراماً وإجلالاً للقراءات القرآنية من كثير من النحاة واللغويين، ولكن هذا الإجلال والاحترام من هذا الفريق يقابله رفض وطعن من فريق آخر. فالفريق الثاني يرفض ويعارض كثيراً من القراءات القرآنية ويرميها بالخطأ تارة وبالرداءة تارة أخرى وبالضعف أحياناً كثيرة.

ويبدو لي أن سبب هذا الطعن كما سنبينه فيما بعد يكمن في ما يلي:

- ١ - اعتقاد النحاة أن القراءات آراء تنبثق عن أصحابها.
- ٢ - ظن بعض النحاة أن بعض هذه القراءات مبتورة الصلة بالرسول الكريم (ﷺ) ضعيفة السند.
- ٣ - مخالفة هذه القراءات في كثير من الأحيان لما وضع النحاة من معايير وقواعد.

(٣) الكتاب ج ١ ص ١٤٨.

(٤) شرح المفصل ج ٣ ص ١١٦.

(٥) شرح الأشموني ج ١ ص ١٦٨ ج ١ ص ٢٥٥.

(٦) الزهر ج ١ ص ١٢٩.

(٧) الاتقان ص ١٤ - ١٥.

(٨) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣ ص ١٩٣.

فإذا ما اصطدمت قراءة ما بما وضعوا من قواعد، لجأوا إلى طرق شتى لتبريرها. فإما أن يقوموا بتأويل هذه القراءة وإما أن يرفضوها أو يرموها بالضعف أو الشذوذ.

لهذا كله وجه النحويون واللغويون قداماء ومحدثين اهتمامهم إلى دراسة هذه الظاهرة وأعني بها موقفهم من القراءات لغوياً<sup>(٩)</sup>، والظعن بها، وصنفوا فيها تأليداً كثيرة. ولكن أحداً منهم لم يعرض لرأي أبي حيان النحوي مُفصلاً من هذه الظاهرة. وإن عرض له فلم يَفِهِ حَقَّهُ في هذا الميدان. وفي بحثي هذا حاولت جاهداً أن أضع بين يدي القارئ رأي أبي حَيَّان وموقفه من القراءة القرآنية ولم أجد - وبعد البحث المستفيض - ما يشفي الغليل في هذا المضممار سوى سفره العظيم «البحر المحيط في تفسير القرآن» قد خضت عبابه على الرغم من صعوبته وضخامته. وجمعت القراءات التي طعن النحاة بها ورموها بالضعف حيناً وبالشذوذ أحياناً وبعد دراستها دراسة فاحصة ناقدة، ألفت لأبي حيان موقفاً منها يستاهل أن يدرس ويبسط القول فيه. وتبين لي أن موقفه هذا كان موقف المدافع المنافع عن القراءات المطعون فيها، وإن هذا الموقف يستند ويدور في فلك أربعة محاور هي :

أولاً : أن القراءة وصلت إلينا بطريق التواتر وصحة السند إلى رسول الله ﷺ ولا يجوز الطعن بها.

ثانياً : أن رواتها أهل ثقة، ولا يصح الطعن بهم ولا بقراءاتهم.

ثالثاً : أن هذه القراءات أجازها مشاهير النحاة.

رابعاً : أن القراءة القرآنية تمثل لهجة من لهجات العرب، واللهجات كما يقول ابن جني كلها حجة<sup>(١٠)</sup>.

ولتوضيح الأمر وتجليته إليك - أيها القارئ - تفصيلاً بهذه القراءات المطعون بها، وبصحتها أولاً وبمن طعن بها ثانياً، وبموقف أبي حَيَّان من هذا الطعن ثالثاً.

(٩) أنظر مثلاً : سيبويه والقراءات - أحمد مكي الأنصاري - دار المعارف بمصر، ١٩٧٢ والدفاع عن القرآن أحمد مكي الأنصاري - دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣ ودراسات في النحو والقراءات : أحمد مكي الأنصاري - مجلة مجمع اللغة العربية - بالقاهرة ١٩٧٣ - ودراسات في أساليب القرآن - عبدالحق عزيمة.

(١٠) أنظر الخصائص لابن جني ١٠/٢.

١ - إبدال السين زائياً : في قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ .

رمى بعض اللغويين ما حكاه الأصمعي، عن أبي عمرو في قراءة (السطر) بإبدال سينه زائياً خالصة بالخطأ، وأنه إنما سمع أبا عمرو يقرأها بالمضارعة فتوهمها زائياً، ولم يكن الأصمعي نحوياً فيؤمن على هذا. وهذا الكلام حكاه أبو علي الفارسي عن أبي بكر بن مجاهد<sup>(١١)</sup>. يرد أبوحيان على من خَطَّأ هذه القراءة برواية أبي جعفر الطوسي قائلاً : «قال في تفسيره وهو إمام من أئمة الامامية «السطر» بالصاد لغة قریش، وهي اللغة الجيدة، وعامة العرب يجعلونها سيئاً. والزاي لغة لعذرة وكعب وبني القين<sup>(١٢)</sup>» .

فردَّ أبو حيان يعتمد على أن هذه القراءة تستند إلى لهجة من لهجات قبائل العرب، ولا يجوز رميها بالخطأ. ولا شك أن العلاقة واضحة بين الصاد والزاي لأنهما من مخرج واحد ثم تأخيهما في الصفيير وهو نوع من التقريب والمماثلة، كما أن العلاقة بين القبائل الثلاث التي آثرت إخلاص الزاي قوية. فكلها ترجع إلى قُضاعة، فلا عجب أن تتشابه لهجاتها<sup>(١٣)</sup>. ويبدو أن إبدال السين زائياً كان فاشياً في قبيلة كلب، كما يروي ذلك ابن جني وابن الحاجب والرضي<sup>(١٤)</sup>. أضف إلى هذا كله، أن السين لما كانت مهموسة والقاف مجهورة جعلوا السين زائياً، لمناسبة الزاي للسين في المخرج والصفيير<sup>(١٥)</sup>. وعلى تلك اللهجة قرىء قوله تعالى : ﴿ومن أصدق من الله...﴾ بالزاي<sup>(١٦)</sup>. وهذا كله يؤيد كلام أبي حيان من تجويز هذه القراءة ونفي التهمة والظعن المنسوب إليها.

(١١) البحر ج ١ ص ٢٥ . والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١ - ١٠ والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ج ١ ص ٣٧ .

(١٢) البحر المحيط ج ١ ص ٢٥ .

(١٣) اللهجات العربية في التراث ص ٤٤٨ .

(١٤) أنظر الشافية ج ٣ ص ٢٣٣ .

(١٥) اللهجات ص ٤٤٨ .

(١٦) البحر المحيط ج ٣ ص ٣١٢ .

٢ - إبدال الجيم ياء : في قوله تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ .

قراءة (الشيرة) بدلاً من (الشجرة). قرئت الشيرة بكسر الشين والياء المفتوحة بعدها. وكَرَّة أبو عمرو هذه القراءة. وقال يقرأُ بها برابر مكة وسودانها<sup>(١٧)</sup>. انبرى أبو حيان للرد على هذا التكريه قائلاً : وينبغي أن لا يكرها، لأنها لغة منقولة فيها. ولم يكتفِ أبو حيان بذلك بل ويورد رواية يدلل بها على صدق ما ذهب إليه يقول :

قال الرياشي : سمعت أبا زيد يقول : كنا عند المفضل وعنده أعراب فقلت : إنهم يقولون شيرة ؟

فقالوا : نعم. فقلت له : قل لهم يصغرونها. فقالوا : شيرة. وزيادة في دحض ما ذهب إليه أبو عمرو، يورد أبو حيان بيتاً من الشعر أنشده الأصمعي، يذكر فيه أن العرب تبدل الجيم ياء وهو : (تحسبه بين الأنام شيرة<sup>(١٨)</sup>).

عزا ابن اسحق هذه القراءة إلى لغة سُلَيْم، وبعضهم عزَّاهَا إلى تميم. وربما نقلت هذه اللغة إلى سليم عن طريق التجارة ثم تَلَقَّتْهَا مكة. أن التاريخ يتحدث عن سليم بأنها وثيقة الصلة بقريش، ولهذا لا نعجب إذا قال أبو عمرو : يقرأ بها برابر مكة وسودانها<sup>(١٩)</sup>. والبديل يحدث بين الصوتين لأنهما شجريان متفقان مخرجاً وكلاهما مجهور وإن اختلفا صفة<sup>(٢٠)</sup>.

ويبدو أن هذه اللهجة لا زالت حتى أيامنا هذه في تميم<sup>(٢١)</sup>. (وفي الحوطة في جنوب الرياض) وفي حضرموت<sup>(٢٢)</sup>. وبعض اللهجات العربية الحديثة في شمال الجزيرة العربية<sup>(٢٣)</sup>.

(١٧) نفسه ج ١ ص ١٥٨.

(١٨) البحر المحيط ج ١ ص ١٥٨.

(١٩) اللهجات العربية في التراث - أحمد علم الدين الجندي ص ٤٥٩.

(٢٠) نفسه ص ٤٦٠.

(٢١) نفسه ص ٤٦١.

(٢٢) نفسه ص ٤٦١.

(٢٣) نفسه ص ٤٦١.

٣ - الهمزة في قوله تعالى : ﴿أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ .

يقول أبوحيان : ولغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو «أَنْذَرْتَهُمْ» وبه قرأ الكوفيون وابن ذكوان وهو الأصل . وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طلباً للتخفيف . فقرأ الحرميان وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، إلا أن أبا عمرو وقالون وإسماعيل بن جعفر عن نافع وهشام يدخلون بينهما ألفاً وابن كثير لا يُدْخِلُ . ورؤي تحقيقاً عن هشام إدخال ألفٍ بينهما . وهي قراءة ابن عباس وابن أبي اسحق، ورؤي عن ورش كابن كثير وكقالون، وإبدال الهمزة الثانية ألفاً فيلتي ساكنان على غير حدهما عند البصريين<sup>(٢٤)</sup> . وقد أنكر هذه القراءة الزمخشري، وزعم أن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب ومن وجهين : أحدهما : الجمع بين ساكنين على غير حده . والثاني : ان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها، هو بالتسهيل بين بين لا بالقلب ألفاً، لأن ذلك هو طريق الهمزة الساكنة<sup>(٢٥)</sup> .

وقد رد أبوحيان على الزمخشري قائلاً : إن القراءة صحيحة النقل والتواتر، مستنداً إلى أن مذهب الكوفية يجيز ذلك فيقول : وما قاله الزمخشري هو مذهب البصريين . وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازة البصريون . وقراءة ورش صحيحة النقل لا تدفع باختيار المذهب ولكن عادة الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ونقله القرآن<sup>(٢٦)</sup> .

وقد ناقش الدكتور أحمد مكي الأنصاري هذه القضية قائلاً : يجب تعديل هذه القاعدة النحوية (لا يجوز الجمع بين الساكنين) في مثل (أَنْذَرْتَهُمْ) بقلب الهمزة الثانية ألفاً إلى : (يجوز الجمع بين الساكنين) في مثل (أَنْذَرْتَهُمْ) (بقلب الهمزة الثانية ألفاً) استناداً إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ . . .﴾ حيث قُرِئَتْ بقلب الهمزة ألفاً، وهي قراءة سبعة محكمة . متواترة<sup>(٢٧)</sup> . والأنصاري لم يزد على قول أبي جيان شيئاً .

(٢٤) البحر المحيط ج ١ ص ٤٧، وانظر الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ج ١ ص ١٨٣ .

(٢٥) البحر المحيط ج ١ ص ٤٧، وانظر الكشاف في حقائق التنزيل للزمخشري، دار المعرفة ج ١ ص ٢٦ .

(٢٦) البحر المحيط ج ١ ص ٤٨ .

(٢٧) نظرية النحو القرآني، أحمد مكي الأنصاري، مجلة البحث العلمي - جامعة أم القرى - العدد الخامس عام ١٤٠٢ .

٤ - قراءة «للملائكة اسجدوا» يقول أبو حيان : «وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع وسلمان بن مهران، بضم التاء اتباعاً لحركة الجيم، ونقل أنها لغة ازد شنوءة.

طعن في هذه القراءة كثير من النحاة العرب، فالزجاج يقول : «هذا غلطٌ من أبي جعفر. والفارسي يقول : هذا خطأ. وابن جنِّي يعلل قائلاً : لأن كسرة التاء إعراب، وإنما يجوز هذا الذي ذهب إليه أبو جعفر إذا كان ما قبل الهمزة ساكناً صحيحاً نحو: وقالت أخرج<sup>(٢٨)</sup>». وقال الزمخشري : لا يجوز، لاستهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع في لغة ضعيفة كقولهم : الحمد لله<sup>(٢٩)</sup>.

انبرى أبو حيان بالرد على منكري هذه القراءة مستدلاً بأن لغة ازد شنوءة أولاً، وثانياً أن قارئها أبو جعفر أحد القراء المشاهير، الذين أخذوا القرآن عرضاً عن عبدالله بن عباس وعدد من الصحابة، وهو شيخ نافع بن نعيم، أحد القراء السبعة<sup>(٣٠)</sup>.

ثم لا يكفي بهذا، بل يحاول تعليل وتحليل هذه الظاهرة قائلاً : وقد علل ضم التاء لشبهها بألف الوصل، ووجه الشبه أن الهمزة تسقط في الدرج، لكونها ليست بأصل. والتاء في الملائكة تسقط أيضاً لأنها ليست بأصل، ألا تراهم قالوا : الملائك وقيل : ضُمَّتْ لأنَّ العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها<sup>(٣١)</sup>.

وهذا التخريج موافق للتفسير القائل : إن العربية تحرص على الانسجام الصوتي والاتباع حرصها على الاعراب<sup>(٣٢)</sup>. ولهذا رواها الكسائي ووجهها بأن التاء ضُمَّتْ إبتاعاً لحركة الجيم في «اسجدوا» ولو لم يتبعوا لخرج اللسان من كسرٍ إلى ضم والعرب تكره ذلك.

(٢٨) البحر ج ١ ص ١٥٢.

(٢٩) أنظر أقوال النحاة في الطعن في هذه القراءة البحر ج ١ ص ١٥٢ والكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦٢.

(٣٠) البحر ج ١ ص ١٥٢.

(٣١) نفسه ج ١ ص ١٥٢.

(٣٢) أنظر اللهجات العربية ص ٢٦٧.

ويذهب أحد الباحثين المحدثين إلى ما ذهب إليه أبوحيان قائلاً : ولسنا نتفق مع من ضعف هذه القراءة وأضرابها، لأنَّ القراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ يجب القياس عليها، لا إخضاعها للأصل النحوي<sup>(٣٣)</sup>.

٥ - التسكين في قوله تعالى : ﴿فتوبوا إلى بَارِئِكُمْ﴾.

قال أبوحيان : وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ بظهور حركة الاعراب في (بَارِئِكُمْ) وروى عن أبي عمرو الاختلاس، وروى ذلك عنه سيبويه. وروى عنه الاسكان وذلك إجراء للمنفصل بين كلمتين مجرى المتصل من كلمة، فإنه يجوز تسكين مثل : إِبْل - فَأَجْرِي الْمَكْسُورَانِ في بارئكم مجرى إِبْل<sup>(٣٤)</sup>.

لحْنُ أبوالعباس المُبَرَّد قراءة أبي عمرو بالتسكين، ومنع التسكين في حركة الاعراب<sup>(٣٥)</sup>.

ورد أبوحيان على أبي العباس المبرد قائلاً : وما ذهب إليه ليس بشيء، لأن أبا عمرو لم يقرأ إلاَّ بأثر عن رسول الله ﷺ ولغة العرب توافقه على ذلك. فإنكار المبرد لذلك مُنْكَرٌ وقال الشاعر :

فاليوم أَشْرَبَ غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل

وزيادة على ما ذكر يدل على صحة هذه القراءة بما حكاه أبو زيد في قوله تعالى : ﴿وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾. وقراءة مسلمة بن محارب ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾. بتسكين ﴿رُسُلٌ﴾ و﴿بُعُولَتُهُنَّ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

أضف إلى ذلك أن أبا عمرو يذكر أنَّ لغة تميم تسكن المرفوع من ﴿يَعْلَمُهُ﴾ ونحوه. ومثل تسكين بارئكم قراءة حمزة : وَمَكْرُ السَّيِّءِ<sup>(٣٧)</sup>.

(٣٣) الحمل على الجوار، د. عبدالفتاح الحموز ص ١٤٣.

(٣٤) البحر ج ١ ص ٢٠٦.

(٣٥) نفسه ج ١ ص ٢٠٦.

(٣٦) نفسه ج ١ ص ٢٠٦.

(٣٧) نفسه ج ١ ص ٢٤١.



مما سبق يتبين لنا أن أباحيان اعتمد في الرد على منكر هذه القراءة بطرائق مختلفة منها : أن القراءة تستند إلى لهجة قبيلة تميم . وأن القراءة متواترة غير مقطوعة السند إلى رسول الله ﷺ . وأن القراءة لها ما يشبهها من القراءات في تسكين حركة الاعراب .

يقول مكِّي بن أبي طالب : وحجة من أسكن أنه شبه حركة الإعراب بحركة البناء ، فأسكن حركة الاعراب استخفافاً لتوالي الحركات . وهو ضعيف مكروه<sup>(٣٨)</sup> .

واعتقد أن تكريههم وطعنهم بهذه القراءة هو أن الإسكان بغير حركة الإعراب . وحركة الإعراب عند النحاة شيء مُقَدَّس لا يجوز مَسُّها والعبث بها ، ناسين أو متناسين أنه يثقل على اللسان أن ينطق بثلاث حركات ، ينتقل فيها من كسر الراء إلى كسر الهمزة إلى ضم الكاف في بارئكم . فلا ضرر أن يُسَكَّنَ القارئ الهمزة . وهل ستغير دلالتها الوظيفية والنحوية مع التسكين ؟

إني لا أعتقد ذلك وبخاصة أنها جاءت مجرورة . وهذا مما يبعد احتمال تغير دلالتها . ويقول أحد الباحثين المحدثين : إن هذا يُحْمَلُ على الخفة في القرآن وأنه ليشيع في التنزيل تخفيف الحركات بالحذف<sup>(٣٩)</sup> .

٦ - حذف النون في قراءة ﴿أَتَحَاجُونِي﴾ : يقول أبوحيان :

«قرأ نافع وابن عامر بخلافٍ عن هشام (أتحاجوني) بتخفيف النون . وأصله بنونين . الأولى علامة رفع والثانية : نون الوقاية»<sup>(٤٠)</sup> .

لحن بعض النحويين من قرأ بالتخفيف في هذه القراءة .

وقال مكِّي : «الحذف بعيد في العربية قبيح مكروه وإنما يجوز في الشعر للوزن . والقرآن لا يُحْتَمَلُ ذلك فيه ؛ إذ لا ضرورة تلجئ إليه»<sup>(٤١)</sup> .

(٣٨) نفسه ج ١ ص ٢٤١ .

(٣٩) الحمل على الجوار - د. عبدالفتاح الحموز ص ٢٠٤ .

(٤٠) البحر ج ١ ص ١٦٤ .

(٤١) الكشف عن وجود القراءات السبع وعللها وحججها/ مكِّي القيسي - تحقيق عمي الدين رمضان مؤسسة الرسالة . ١٩٨١ .

يقول أبو حيان في الرد علي من لحن هذه القراءة أنه أخطأ في ذلك. وأن قول مكّي ليس بالمرتضى وقال: إن التخفيف لغة لغطفان. وما دامت القراءة تستند أو تمثل لهجة من لهجات العرب فهي جائزة ولا يجوز الظعن بها.

٧- قراءة ﴿وإن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾.

يقول أبو حيان: وقرأ ابن كثير وورش وحفص «فنعما» بكسر النون والعين. ووجه هذه القراءة أنه على لغة من يحرك العين ويتبع حركة النون بحركة العين. وتحريك العين الأصل وهي لغة هذيل... وقرأ أبو عمرو، وقالون، وأبو بكر، بكسر النون وإخفاء حركة العين وقد روي عنهم الإسكان والأول أقيس وأشهر. ووجه الإخفاء طلب الخفة، وأما الإسكان فاختره أبو عبيدة، وقال: الإسكان فيما يروى لغة النبي ﷺ في هذا اللفظ. قال لعمر بن العاص نعيماً المال الصالح للرجل الصالح. ولم تسلم هذه القراءة (أي بالاسكان) من الظعن فأنكرها أبو العباس، وأبو اسحق، وأبو علي، لأن فيه جمعاً بين ساكنين على غير حده\*.

وقال أبو العباس: لا يعد أحد أن ينطق به وإنما يروم الجمع بين ساكنين ويحرك ولا يأتيه. وقال أبو اسحق: لم تضبط الرواة اللفظ في الحديث (أي حديث الرسول ﷺ) لعمر بن العاص سالف الذكر. وقال أبو علي: لعل أبا عمرو أخفى، فظنه السامع إسكاناً. وأبو حيان رد كعادته في الذود عن القراءات على هؤلاء قائلاً: إنكار هؤلاء فيه نظر. لأن أئمة القراءة لم يقرأوا إلا بنقل عن رسول الله ﷺ. ومتى تطرق إليهم النقل فيما نقلوه من مثل هذا تطرق إليهم فيما سواه. ثم يضيف قائلاً: والذي نختاره ونقوله أن نقل القراءات السبع متواترة لا يمكن وقوع الغلط فيه.

فهذه القراءة يدافع عنها أبو حيان لأنها قراءة سبعية، والقراءة السبعية كما هو معروف بين القراء والنحاة واللغويين لا يمكن ردها، أو رفضها، أو رميها بالضعف، لأنها وصلتنا متواترة عن رسول الله ﷺ. وثبت ذلك حديث رسول الله ﷺ لعمر بن العاص سالف الذكر. وهي كذلك لهجة من لهجات العرب كما ذكرنا.

\* انظر رأي الفارسي في الحجة في القراءات لأبي علي ج ٢ ص ٣٩٧ تحقيق بدرالدين قهوجي وزميله/ دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤.

## ٨ - تسكين الهاء المتصلة بالفعل المجزوم :

يقول أبوحيان : وقرأ الجمهور «يؤده» بكسر الهاء ووصلها بياء. وقرأ قالون باختلاس الحركة. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر، وحمزة، والأعمش بالسكون. وغلط هذه القراءة (قراءة أبي عمرو وأبي بكر وحمزة والأعمش بالسكون) أبو اسحق. وقال : هذا الاسكان الذي روي عن هؤلاء غلطٌ بينٌ، وعَلَّل ذلك بأنَّ الهاء لا ينبغي أن تُجَزَم وإذا لم تجزم، فلا يجوز أن تُسَكَّن في الوصل. ثم يرى أن أبا عمرو كان يختلس الكسرة، وهذا غلط منه كما غلط في بارئكم<sup>(٤٢)</sup>. أي بتسكين آخر الكلمة كما سلف. لم يسكت أبوحيان حيال هذا التغليب الذي رمى به أبو اسحق قراءة أبي عمرو، فقد ردَّ عليه ردًّا معتمداً على أربعة أسس.

الأول : أن هذه القراءة قراءة سبعية، وهي متواترة لذا لا يجوز الطعن بها. والثاني : أن هذه القراءة منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء وهو عربي صريح وسامع لغة وإمام في النحو. ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا. والثالث : أن هذه القراءة قد أجازها بعض أئمة النحو واللغة كالفراء والكسائي. والرابع : أن هذه القراءة تمثل لهجة عربية كما رواها الكسائي ونسبها إلى عقيل وكلاب. وذكر أنهم يختلسون الحركة في هذه الهاء إذا كانت بعد متحرك وأنهم يسكِّنون أليضاً.

أضف إلى هذا أنه يُروى أن أبا اسحق الزجاج الذي خَطَّأ القراءة، يُقال عنه : إنه لم يكن إماماً في اللغة ولذلك أنكر على ثعلب في كتابه الفصيح مواضع زعم أن العرب لا تقولها. وردَّ ناس كثيرون على أبي اسحق في إنكاره، ونقلوها من لغة العرب، وممن ردَّ عليه أبو منصور الجواليقي<sup>(٤٣)</sup>.

(٤٢) نفسه ج ٢ ص ٤٩٩.

(٤٣) أنظر كتاب الرد على الزجاج، للجواليقي، والبحر المحيط ج ٢ ص ٤٩٩.

ويرى أحد الباحثين المحدثين جواز تسكين الهاء المتصلة بالفعل المجزوم، إستناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم، من قراءات سبعة متعددة<sup>(٤٤)</sup>.

٩ - عطف الاسم الظاهر على الضمير في قراءة (الأرحام) بالكسر عطفاً على الهاء في (به) في قوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾<sup>(٤٥)</sup>.

يقول أبو حيان: ما ذهب إليه أهل البصرة وتبعهم فيه الزمخشري، وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجزوم، إلا بإعادة الجار، وأن اعتلالهم لذلك غير صحيح. بل الصحيح ما ذهب الكوفيون في ذلك أنه يجوز<sup>(٤٦)</sup>.

ورد ابن عطية هذه القراءة من حيث المعنى من وجهين: أحدهما: أن ذكر الأرحام مما تسأل بها لا معنى له في الحض على تقوى الله تعالى، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يُتساءل بها، وهذا تفریق في معنى الكلام وغض من فصاحته، وإنما الفصاحة في أن تكون في ذكر الأرحام فائدة مستقلة. والوجه الثاني: أن في ذكرها على ذلك تقدير التساؤل بها، والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله ﷺ من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت.

ويرد أبو حيان على قول ابن عطية قائلاً: «وأما قول ابن عطية (ويرد عندي هذه القراءة وجهان) فجسارةٌ قبيحةٌ منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه، إذ عمِدَ إلى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ. قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بها بأكابر الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله ﷺ بغير واسطة. ثم يضيف أبو حيان: إنما ذكرت هذا وأُطلت فيه لثلا يطلع عمر\* على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة، فيسيء ظناً بها، ويقارنها فيقارب أن يقع الكفر بالطعن في ذلك»<sup>(٤٧)</sup>.

(٤٤) أحمد مكي الأنصاري - نظرية النحو القرآني عدد ٥ ص ١٦٧.

(٤٥) أنظر تفصيل هذه المسألة في: الانصاف في مسائل الخلاف: مسألة (٦٥)، وشرح الفصل لأبن يعيش ج ٣ ص ٨٧ ونظرية النحو القرآني - أحمد مكي النصري - مجلة البحث العلمي / جامعة أم القرى عدد ٥ ص ١٥٥، وما بعدها.

(٤٦) البحر ج ٣ ص ١٥٨، وانظر رأي الزمخشري في الكشف ج ١ ص ٢٤١.

\* هكذا وردت في البحر وأظنها - مُطَّلَعٌ -.

(٤٧) البحر ج ٣ ص ١٥٩.

فرداً أبي حيان على الزمخشري وابن عطية ينطوي على شيئين اثنين :  
 أولاً : ان القراءة قراءة سبعية متواترة لا يجوز أن يطعن بها طاعن لأنها موصولة  
 السند بالرسول ﷺ .

ثانياً : أنه يذهب مذهب الكوفيين في القراءة ويجيز عطف الاسم الظاهر على  
 الضمير، دون إعادة الجار : وهذا ليس غريباً في رأيي - إذ أنه في كثير من القضايا  
 والقراءات التي ذكرنا في هذا البحث يقف مع الكوفيين ويستشهد على صحة  
 ما يذهب إليه بأقوالهم كما مر .

وأرى أن أبا حيان لم يكن بصرياً كما يذهب محقق كتابه «تذكرة النحاة» (٤٨) .  
 ولا كوفياً إنما كان صاحب رأي ثابت وإنما رأى صائباً تبعه والشواهد على ذلك كثيرة .  
 ولثلا يطول البحث لا نستطيع ذكرها هنا - ولكننا نود أن نضع بين يدي القارئ رأي  
 أبي حيان في ذلك من كلامه : يقول : «ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة، ولا غيرهم  
 ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون .  
 وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون . وإنما يعرف ذلك من له استبحار  
 في علم العربية» (٤٩) .

#### ١٠ - إدغام غير المثليين في (يفغر لمن) :

قال أبو حيان : «قال الزمخشري وقد ذكر قراءة الجزم» فإن قلت كيف يقرأ  
 الجازم، قلت يظهر الراء ويدغم اللام . ومدغم الراء في اللام لاحقاً مخطيء خطأ  
 فاحشاً وراويته عن أبي عمرو مخطيء مرتين، لأنه يلحن ويتسبب إلى أعلم الناس  
 بالعربية» (٥٠) .

يقول أبو حيان رداً على الزمخشري : وذلك على عادته في الطعن على القراء .  
 وأما ما ذكر أن مدغم الراء في اللام مخطيء خطأ فاحشاً إلى آخره . . . فهذه مسألة

(٤٨) تذكرة النحاة - لأبي حيان - تحقيق عفيف عبدالرحمن ص ١٨ .

(٤٩) البحر ج ٣ ص ١٥٨ .

(٥٠) البحر ج ٢ ص ٣٦١، وانظر الكشاف للزمخشري ج ١ ص ١٧١ .

اختلف فيها النحويون. فذهب الخليل وسيبويه وأصحابه إلى أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام من أجل التكرير الذي فيها ولا في النون. قال أبو سعيد ولا نعلم أحداً خالفه إلا يعقوب الحضرمي. وإلا ما روي عن أبي عمرو، أنه كان يدغم الراء في اللام متحركة متحركاً ما قبلها، نحو: (يغفر لمن) (العمر لكيلا)، (واستغفر لهم الرسول) . . . وأجاز ذلك الكسائي والفاء وحكياه سماعاً ووافقهما على سماعه رواية وإجازة أبو جعفر الرؤاسي. وهو إمام من أئمة اللغة العربية من الكوفيين. وقد وافقهم أبو عمرو على الإدغام رواية وإجازة.

ويقول أبو حيان: «والإدغام وجه من القياس ذكرناه في كتاب التكميل لشرح التسهيل من تأليفنا، وقد اعتمد بعض أصحابنا على أن ما روي عن القراء من الإدغام الذي منعه البصريون يكون ذلك إخفاء لا إدغاماً، وذلك لا يجوز أن يُعتَقَد في القراء أنهم غلطوا، وما ضبطوا، ولا فرّقوا بين الإخفاء والإدغام. ثم يقول في موضع آخر: وهذا لا ينبغي فإن لسان العرب ليس فيما نقله البصريون فقط. والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه، بل القراء الكوفيون يكادون يكونون مثل قراء البصرة، وقد اتفق على نقل إدغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمي، وكبراء أهل الكوفة الرؤاسي والكسائي والفاء».

مما سبق نرى أن أباحيان يرد على الزمخشري (في طعنه قراءة الإدغام) مستشهداً برأي وإجازة رأسين من رؤوس البصرة وكبراء المدرسة الكوفية. أضف إلى هذا أن القراءة سبعية متواترة<sup>(٥١)</sup>. وما يجيزه النحاة وأبو حيان هو جائز من حيث الوجهة الصوتية حيث أنه إذا اجتمع صوتان متقاربان مخرجاً أو صفة، أثر أحدهما في الآخر. بحيث يصبحان مجهورين أو مهموسين تحقيقاً للانسجام بين الأصوات وتوفيراً للجهد العضلي، إذ يُعْنِي الصوتُ الأوّلُ عن الثاني بحيث تنطق بالصوتين صوتاً واحداً. فيكون عمل اللسان من وجه واحد<sup>(٥٢)</sup>. وإلى مثل هذا ذهب بعض الباحثين المحدثين<sup>(٥٣)</sup>.

(٥١) كتاب السبعة في القراءات - ابن مجاهد، ص ١٩٥، ت شوقي ضيف - ط دار المعارف بمصر.

(٥٢) اللهجات في التراث، علم الدين الجندي، ص ٢٩٤.

(٥٣) أنظر النحو القرآني، أحمد مكي الأنصاري - مجلة البحث العلمي، جامعة أم القرى، العدد ٥ ص ١٧١ عام ١٩٨٢.

## ١١ - كسر يا (بمُصْرَخي).

يقول أبوحيان<sup>(٥٤)</sup> : وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزه (بمصرخي) بكسر الياء. كَثُرَ الطاعنون في هذه القراءة، قال الفراء: لعلها مِنْ وَهْمِ القراء فإنه قَلَّ منهم من سَلِمَ من الوهم. ولعله ظنَّ أَنَّ الباء في «بمصرخي»، خافضة للحرف كَلِّه، والياء للمتكلم خارجةً من ذلك. وقال أبوعبيدة: نراهم غَلَطُوا وَظَنُّوا أَنَّ الياء تكسرُ لما بعدها. وقال الأخفش: ما سمعت هذا من أحد العرب ولا من النحويين. وقال الزجاج هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مردولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف. قال النحاس: صار هذا إجماعاً ولا يجوز أن يُحْمَلَ كتاب الله على الشذوذ.

وقال الزمخشري: هي ضعيفة واستشهد لها بيت مجهول:

قال لها هل لك يا ناقي قالت له ما أنت بالمرضي

فند أبوحيان أقوال هؤلاء النحاة قائلًا:

أما قول الزمخشري فقد استشهد لها بيت مجهول، فقد ذكره غيره للأغلب العجلي، وهي لغة باقية في أفواه الناس إلى اليوم يقول القائل: ما في إفعال كذا بكسر الياء<sup>(٥٥)</sup> أما ما ذهب إليه النحاة الذين ذكرناهم سابقاً. فيقول أبوحيان إنه لا ينبغي أن يُلتَفَتَ إليه واقتفى آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يُقال فيها: إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة. ثم يدل على قوله هذا كعادته، بأن هذه القراءة تمثل لغة من لغات العرب، لكنَّها قَلَّ استعمالها. وذكر أن هذه اللغة كما ينص عليها قطرب - لغة بني يربوع.

ثم لا يكتفي بهذا بل نراه يذكر رواية أخرى تبين أن هذه القراءة صحيحة نقلاً عن القاسم بن معن الذي جَوَّزَ هذه القراءة حين سأل حسين الجعفي عنها. ويذكر أيضاً أن أبا عمرو قال: هي جائزة رغم أن أهل النحو يلحنون من يقرأ بها<sup>(٥٦)</sup>.

(٥٤) البحر ج ١ ص ١٩، وانظر: معاني القرآن للفراء ج ٢ ص ٧٥.

(٥٥) البحر ج ٥ ص ٤١٩.

(٥٦) نفسه ج ٥ ص ٤٢٠.

وفي هذا المقام فإني أرى أن المجيزين في هذه على حق لأن هذه القراءة صحت سماعاً. كما أنها صحت قياساً إذ الياء كُسرت إبتاعاً للكسرة التي بعدها في (بمصرخي لآني). واللسان بها يعمل من موضع واحد ووجه واحد. ففيها الانسجام وتقريب الأصوات بعضها من بعض وذلك ما يميل إليه البدو أمثال بني يربوع<sup>(٥٧)</sup>.

## ١٢ - قراءة ﴿إن هذان لساحران﴾ بالنصب.

يقول أبو حيان : «قرأ الجمهور من السبعة» إن هذان لساحران» بتشديد النون من «إن» وتخفيفها في نون المثني من «هذان». وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي .

وقرأ أبو عمرو بن العلاء إن هذين لساحران» بتشديد النون من «إن» وبالياء في هذين «بدل الألف». وهي قراءة سبعة محكمة كما قرأ بها من السلف الصالح فريق كبير منهم الحسن البصري، وعائشة، وابن جبير، والأعمش، والنخعي، والجحدري، وابن عبيد<sup>(٥٨)</sup>.

أنكر القراءة الثانية بعض النحاة وقالوا هذا غلط من الكاتب<sup>(٥٩)</sup>. وكان من المنتظر أن يقبلوا قراءة أبي عمرو لأنها تتفق وقواعدهم النحوية التي تقول أن المثني يعرب بالياء في حال النصب. فالقراء يقول فيها : ولست أجتريء على ذلك<sup>(٦٠)</sup>. والزجاج يقول : لا أجزى قراءة أبي عمرو لأنها خلاف المصحف<sup>(٦١)</sup>.

وقد تصدى للرد على هؤلاء ابن تيمية في رسالته الكلام على قوله تعالى : ﴿إن هذان لساحران﴾<sup>(٦٢)</sup> قائلاً : «وهذا مما يبين غلط من قال في بعض الألفاظ أنه غلط

(٥٧) اللهجات العربية ص ١٨٨.

(٥٨) البحر ج ٦ ص ٢٥٥.

(٥٩) البحر المحيط ج ٥ ص ٢٥٥.

(٦٠) معاني القرآن ج ٢ ص ٢٩٣.

(٦١) البحر المحيط ج ٥ ص ٢٥٥.

(٦٢) ابن تيمية والكلام على قوله تعالى ﴿إن هذان لساحران﴾ ت د. ناصر الرشيد - مجلة مركز البحث العلمي العدد ٢ سنة ١٩٧٩م.



من الكاتب. وهذا مما يوجب القطع بخطأ من زعم أن في المصحف لحناً أو غلطاً.  
 أما أبوحيان فوقف من هذه القراءة موقفاً ليس ببعيد من موقف ابن تيمية : حيث يقول : والذي نختاره في تخريج هذه القراءة، أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المشى دائماً بالألف. وهي لغة لِكِنَانِه حكي ذلك أبو الخطاب، ولبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية - حكي ذلك عنهم الكسائي ولبني العنبر وبني الهجيم وقراد وعذرة<sup>(٦٣)</sup>.  
 لم يخرج أبوحيان في دفاعه عن القراءة السابقة المطعون بصحتها عن الأسس البارزة التي اعتمدها في القراءات السالفة، فالقراءة عنده سبعية صحيحة متواترة وهي كذلك لهجة لقبائل عديدة.

من خلال دراسة ومناقشة ما مر نستطيع أن نخلص إلى ما يلي :

١ - اعتمد أبوحيان في مواقفه ورأيه من هذه القضايا على ما يسمى بالسَّماع : وهو ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته ويشمل هذا كما يقول السيوطي : كلام الله (القرآن) وكلام نبيه، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده . . . أما القرآن فكل ما ورد أنه قرىء به - جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أو أحاداً أو شاذاً<sup>(٦٤)</sup>.

فأبوحيان يعتمد على القراءة ويحتج بها لصحة القاعدة، ولا يحتج بالقاعدة لصحة القراءة.

٢ - أضف إلى ذلك أن أبا حيان كان يختار بعضاً من هذه القراءات ويجيزها لأن لغة العرب تؤيد هذه القراءة. أي أنها تستند إلى لهجة من لهجات العرب الفصيحة.

٣ - كان يستشهد بأقوال كبار النحاة من المدرستين الكوفية والبصرية للتدليل على صحة القراءة.

(٦٣) البحر المحيط ج ٦ ص ٢٥٥.

(٦٤) الاقتراح ص ٤٨.

- ٤ - أنَّ النحاة جرحوا القراءات السابقة ورموها بالضعف تارة وتارة أخرى باللحن لسبب بسيط وهو أن هذه القراءات خالفت شيئاً من قواعدهم النحوية.
- ٥ - ما ذهب إليه أبوحيان في القراءات يؤيده كثير من الدراسات اللغوية الحديثة<sup>(٦٥)</sup>.

---

(٦٥) أنظر : سيبويه والقراءات : دار المعارف بمصر.  
دراسات في النحو والقراءات : مجلة المجمع اللغوي بمصر (ج٣١ سنة ١٩٧٣م).  
المعارضة الصريحة للقراءات : مجلة جامعة القاهرة - فرع الخرطوم - العدد ٣ سنة ١٩٧٢م.